الألف الثالث قبل الميلاد كان عهد

الرجل المسترخي على الأختام

هل كان يعرف الموسيقى

بقلم: علي أكبر حبيب بوشهري

□ تعتبر حضارة ديلمون بكل تأكيد احدى الحضارات الهامة التى شهدها العالم القديم ، واذا كانت دراسة الحضارات القديمة بآثارها وتأثيراتها شيئا حيويا للغاية بالنسبة للعلماء ، فان دراسة بعض القطاعات فى حضارة ديلمون شىء أكثر أهمية بالنسبة للانسان فى منطقة الخليج . فالى جانب ان حضارة ديلمون كانت رافدا كبيرا فى مجرى التاريخ الانسانى ، فانها قامت ، وازدهرت ، وأينعت وتطورت ، بيد هذا الانسان . وقد عرضنا فى العدد الأول من الوثيقة لبعض جوانب الحياة فى هذه الحضارة . مثل الأزياء وتسريحات الشعر ، وفى هذا العدد نعرض لجانبين آخرين هما الموسيقى ، والتجارة والاقتصاد .

الموسيقى في حضارة ديلمون

الديلمونية

أم يتناول الشراب؟



ان هناك عناصر وقيما معينة ترسم ملامح أية حضارة ، ويعتقد بعض المؤرخين ان الثقافة جزء لا يتجزأ من الحضارة ، سواء بما تحققه من منجزات مادية كتشييد القصور والمعابد والقبور والأضرحة ، أو بما تفرزه من منجزات معنوية مثل نتاج الفكر في الفن والعقائد الدينية والشعر والموسيقى . وبناء على هذه الاعتبارات يمكننا أن نحكم على حضارة ديلمون بأنها من الحضارات الكبيرة والراقية ، لتحقيقها انجازات كبيرة سواء في المجالات المادية أو المعنوية .

ودراسة حضارة ديلمون ـ غير العادية ـ تؤكد لنا ان هذه المنجزات المادية والفكرية ، هي عنصر حيوى في فهم وتقويم أية ثقافة ، سواء انعكست منجزاتها في بناية كبيرة من الحجر ، أو تبلورت في خاتم صغير أو مسكوكه نقدية ، ذلك لأن أى ابداع مهما كان حجمه يتطلب استخدام قدرات الفكر الانسانى ومهارته الفنية وأحلامه .

كانت الموسيقى من الأنشطة الاجتماعية الرئيسية فى حضارة ديلمون ، ويمكن ملاحظتها فى النقوش المنحوتة على أختامها ، فقد كانت لديهم ثلاثة أنواع من الآلات الموسيقية وهى :

أولا : المزمار PIPE وكان لديهم ثلاثة أشكال منه وقد وجد لهذه الآلة ١٢نقشا على الأختام المتوافرة لدى وتكررت رسومها ونقوشها ١٥ مرة .

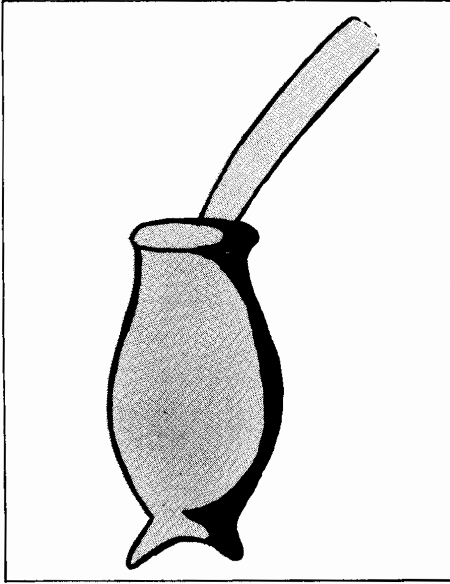
ثانيا :الكنارة LYRE (القيثارة) : ووجدت على أربعة أشكال ظهرت نقوشها ٦ مرات على ستة أختام مستقلة .

ثالثا : الجنك HARP : عثر له على نقش واحد فى خاتم واحد فقط . ومصدر هذه الآلات الموسيقية هو الرافدين - سومرويرجع تاريخها الى ٢٥٠٠ ق.م - ٢٣٥٠ ق . م وكل الاختام التى تحمل نقوش الآلات الموسيقية ترجع لنفس الحقبة أى حوالى ٢٤٠٠ ق . م . ويمكن تسمية هذه الفترة من تاريخ ديلمون بعهد الموسيقى .

ويظهر الموسيقار على الأختام التى تحمل نقوشا للآلات الموسيقية وهو فى حالة استرخاء وبجانبه بعض الحيوانات الأليفة كالغزال والعجل .

والموسيقى بهذه الصورة ، تعكس علو المكانة التى وصلت اليها حضارة ديلمون .

وسنعرض فيما يلى لبعض الآلات الموسيقية التى ظهرت على الأختام :



الرسم رقم (١)
مزمار ذو انبوبة قصيرة

١ - المزمار PIPE

هو آلة موسيقية مكونة من انبوبة ينفخ فيها ويسمى كذلك بمزمار القربة .

وهذه الآلة الموسيقية معروفة لدى الألمان باسم « دودل ساك » -DUDEL SACK أو .. « ساك فيف » Sack Pheife . وفى فرنسا باسم « موزيت » Musette . وكانت فى ديلمون تتكون من جرة أو من مواد معينة على شكل كيس مصنوع من الجلد ينفخ فيه الهواء عن طريق انبوب . وقد تكون مؤلفة من أنابيب كثيرة لتفريغ الهواء توصلا لتنويع النغمات (١)

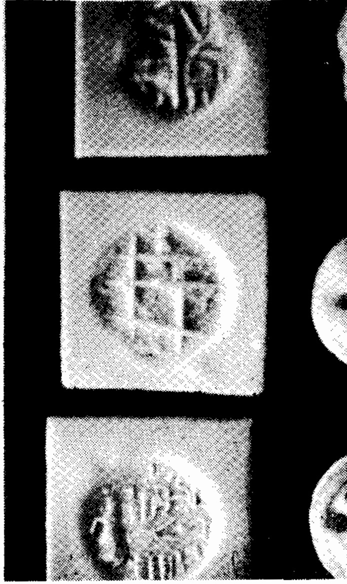
وأقدم اشارة الى المزمار نجدها فى خاتم مستطيل عثر عليه فى القبور الملكية فى « أور » ويرجع تاريخه الى بداية الأسرة الثالثة (٢)

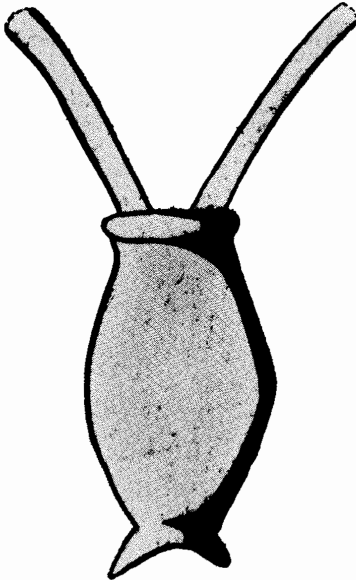
ويـرى كل من ـ هـارتمـان . واف ـ دبليو ـ جالبين أن الشكل الذى يظهر على الأختام ليس لألة موسيقية بل هو لجرة من النبيـذ وأن النحت لا يعكس عملية عزف على آلة موسيقية وانما يصور قوما يشربون النبيذ (٣)

ويعتقـد مـؤلف كتـاب « البحث عن ديلمون » وهو المستر جوفرى بيبى ذلك أيضا فيقول : « بأن حوالى ٦ من أختام ديلمون تمثل رجلين فى حالة استرخاء تام يتناولان الشراب بالأنابيب الورقيـة من اناء واحد ، ولا يوجد له مثيل فى أى ختم آخر » . (٤)

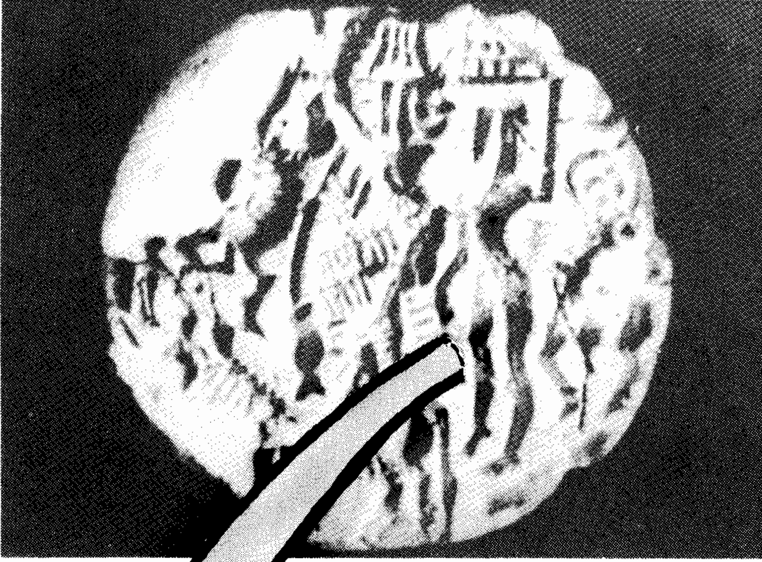
ولقد عثر على نقوش للمزمار ١٥ مرة فقط ، وتكرر هذا النقش على ٨ أختام من بـين الأختـام والصـور والرسـوم التى جمعها المؤلف . ويوجد المـزمار عـلى ٣ أشكال أحدهـا مع أنبـوب خفيف طويل وعثر عليه فى ٦ أختام (٥) والثانى على شكل أنبوب قصير وعثر عليه فى ٣ (٦) والثـالث على شكـل انبـوبـين خفيفـين قصيرين وعثر عليه فى ٦ أختام (٧)

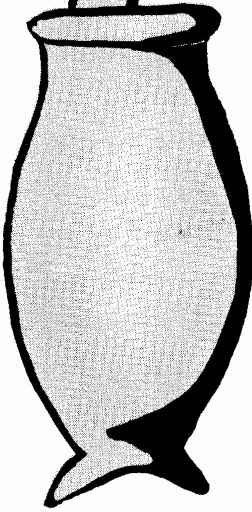
وظهر على جميع الأختام . الموسيقار وهو يعزف المزمار فيما عدا ختمين ظهر فيهما العازف وبجانبه امرأة وهذا يثبت الدور الحيـوى الذى لعبتـه المـرأة فى الحضارات العريقة كحضارة ديلمون . ويبدو العازفان فى حالة استرخاء شديد وهما يعزفان على الآلات الموسيقية ولقد وصـل بهما الاسـتـرخاء الى حـد القيام بمداعبات مكشوفة وهما فى حالة العزف ولقد عثر على هذه الصورة على ختم واحد فقط .





الرسم رقم (٢)
مزمار ذو انبوبتين
قصيرتين والختم في الأعلى





الرسم رقم (٣)
مـزمـار ذو انـبـوبـة طويـلة والخـتـم في أعـلى الصـورة

ويـرجع تـاريخ الاختـام التى تحمل نقوش المزمـار الى سنة ٢٤٠٠ ق . م . وهذا هو العهد الذى تتشابـه فيه آثـار الرافدين بآثار ديلمون . وهـذا التقارب يشير الى احتمال قوى بأن أصل المزمار من سومر . ومما لا شك فيه فان عازفى ديلمـون جاءوا بـآلاتهم الموسيقيـة من سومر فى نفس الفترة التاريخيـة . وكان المزمار موجودا لدى سومر وديلمـون فى تلك الفترة بأنواعه الثلاثة .. أى حوالى سنة ٢٤٠٠ ق . م . فى ديلمون وحوالى ٢٥٠٠ ـ ٢٣٥٠ ق.م. فى سـومـر ، ولا يختلف استعمـال المزمـار بـين كـل من ديلمون وسومر اختلافا كبيرا سـوى فى ختم واحـد . وهو الختم الذى ذكـرنـاه والذى قام فيه العازفان وهما رجل وامرأة بلقاء كامل أثناء العزف . ويحتمل جدا أن يكون المزمار قد جلب من سومر ، لأنـه

المرأة تساهم بنصيب كبير

في الحياة الموسيقية الديلمونية

يوجد بكثرة فى الآثار السومرية بالمقارنة بأختام ديلمون ، حتى انه عثر على مزمار فى حالة جيدة فى العراق ، بينما لم يعثر على مثيل له بين آثار ديلمون .

٢ ـ الكنارة ـ (القيثارة) Lyre :

الكنارة هى أقدم الآلات الموسيقية الوترية وكان يعزف عليها بريشة من العاج أو الخشب المصقول أو بالأصابع ، وكانت هذه الآلة مجوفة لتضخيم الصوت (٨) وقد عثر على ٤ أشكال من الكنارة على النقوش التى شوهدت على اختام ديلمون ، ثلاثة منها من أصل سومرى ـ الرافدين . وترجع لنفس الفترة التى وجد فيها المزمار ، أى حوالى ٢٤٠٠ ق.م. وهى الفترة القريبة من المزمار السومرى بين ٢٥٠٠ ـ ٢٣٥٠ ق.م. ولست متأكدا من الشكل الرابع منها وهى كالآتى :

الأول : صغير الحجم وعثر على نموذجين منه على الأختام الديلمونية ويعزف عليه وهو ممسوك بالأيدى وله صندوق للموسيقى وبه خمسة أوزان لضبط الصوت والتحكم فيه وذلك بتحريكها من أعلى الى أسفل »(٩) و(١٠) .

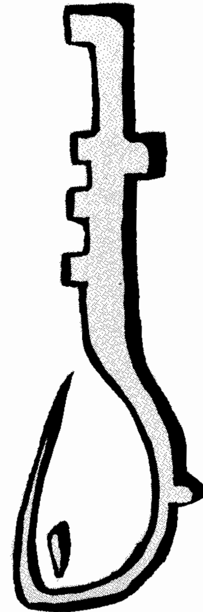
الثانى : وعثر عليه مرتين على أختام ديلمون وهو مكون من ثلاثة أجزاء . صندوق الموسيقى وهو على شكل اناء . وذراعين أمامية وخلفية وهما مائلتان . والجزء الأعلى يوصل بالذراعين معا(١١) وهذا الشكل من الكنارة كبير الحجم ويسند على الأرض عند العزف عليه بالأصابع . ويجلس العازف على كرسى ويبلغ عدد أوتاره أربعة فقط (١٢) .

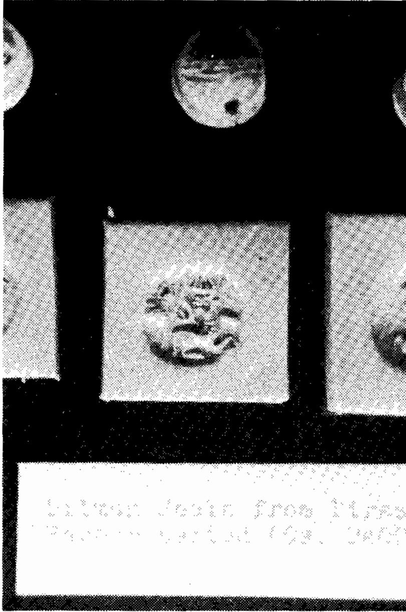
الثالث : عثر عليه مرة واحدة فقط على خاتم واحد وهو عبارة عن صندوق للموسيقى كبير الحجم بأربع قواعد وبدون أية نقوش لأى حيوان وله ذراعان واحدة فى الأمام والأخرى فى الخلف والذراعان متصلتان ببعضهما البعض من أعلى الكنارة . (١٣) وهى تشبه الكنارة السومرية القديمة الا أنها من غير رأس الثور الذى كان يوجد فى مقدمة الكنارة السومرية . أما جسم الثور فهو عبارة عن صندوق الموسيقى نفسه . ويعزف عليه بأصابع اليد اليمنى بينما اليسرى تمسك الأوتار من أعلى (١٤)

الرابع : هذا الشكل من نوع نادر وله كالمعتاد ٤ أوتار وجزء يشبه صندوق الموسيقى ولكن شكله غير عادى لأنه يظهر مقلوبا على الختم الوحيد الذى عثر عليه . والجزء قبل النهائى لهذه الكنارة مفقود وان وجد طرفه فقط على القسم العلوى للختم . وليس هناك نموذج آخر له وبدون هذا الجزء المفقود يصعب التأكد من شكله الكامل ، ولانعدام نقش آخر له فان من الصعب التأكد مما اذا كان الجزء السفلى من النقش أو الجزء العلوى هو الصندوق الموسيقى وهل كان هناك اتصال بين الذراعين من الأعلى أو من الأسفل كما هو الحال فى الأشكال الثلاثة السابقة . ويرجع تاريخ هذا الشكل الى سنة ٢٤٠٠ ق.م. وعثر عليه مرة واحدة فقط على ختم واحد . وقد يكون الشكل لكنارة ذات شكل مختلف عن مثيله فى سومر وبشكل هرمى . وقد يكون الشكل عاديا كالأشكال الثلاثة الأخرى غير أنه نقش مقلوبا . وعلى أى الأحوال فاننا نحتاج الى خاتم ثان لهذا الشكل حتى يمكن التأكد منه . (١٥)

٣ ـ الهارب (الجنك) Harp

عثر على هذا الجنك فوق ختم واحد فقط وكانت الصورة منقوشة فى وسط الختم (١٦) وهى كغيرها من الآلات الأخرى ترجع لنفس الفترة الزمنية فى ديلمون أى حوالى سنة ٢٤٠٠ ق.م. وفى الرافدين ـ سومر فى العهد الأكادى حوالى ٢٣٥٠ ق . م .



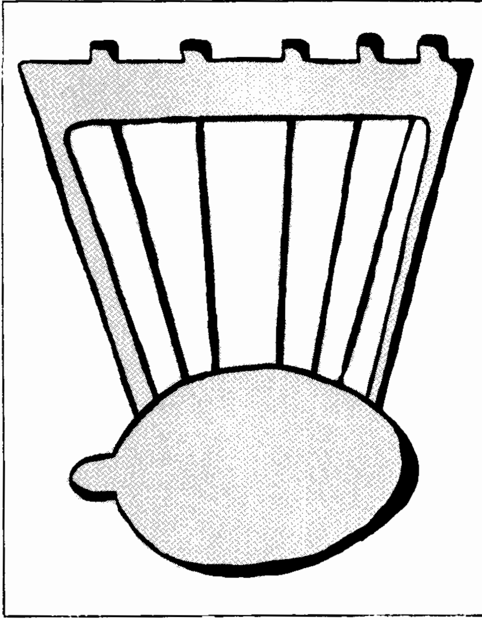


الرسم رقم (٨)

صورة للجنك الموجود على الأختام والى جواره صورة للختم

وعثر على هذا النوع من الجنك مرة واحدة على ختم اسطوانى (١٧) ويحتمل أن سبب ندرة هذه الآلة يرجع الى قلة تداولها فى حضارتى الرافدين وديلمون . وصنعت الآلة على شكل حرف L ولها ذراع واحدة متجهة الى أعلى وهى طويلة وغير مستقيمة تماما وفى طرفها الأعلى جزء كبير على هيئة رأس مسمار وكان للجنك ٧ أوتار ويعزف عليها بالأصابع وذلك اعتمادا على الأمثلة الأكادية (١٨) .

ان دراسة الحضارة تؤكد أن استخدام الموسيقى الذى يعتمد على مزج النغمات بشكل استمرارى منسجم(١٩) بهدف الترفيه والترويح عن النفس هو دليل على أن هذه الحضارة متقدمة جدا كحضارة ديلمون ولم تعزف الموسيقى فى ديلمون ضمن الطقوس الدينية حسب معرفتنا التى استنتجناها من الاختام . بل انهم استخدموها لمجرد التسلية والترفيه . كما نستنتج من دراسة الاختام والنقوش أن المرأة شاركت مشاركة فعالة فى الموسيقى ولا يمكن لأى حضارة أن توفر الفرصة للتمتع بالموسيقى الا اذا كانت قد أتاحت وقت الفراغ فى أنماط الحياة اليومية لممارسة هذا النشاط الاجتماعى وهو الأمر الذى لا تصل اليه الحضارة الا اذا كانت قد وصلت لمرحلة كبيرة من النضج . واعتمادا على ذلك فقد كانت الحياة اليومية فى حضارة ديلمون منظمة بما يتيح الفرصة للرجال لممارسة الموسيقى



الرسم رقم (٤)
الكنارة (القيثارة)

للاسترخاء والتسلية وهم بين نسائهم واصدقائهم وحيواناتهم الأليفة .

ولكى تتضح الصورة أكثر فاننا نتساءل . ما هو الفرق بين رجل القرن العشرين وهو يسكن شقته الحديثة عندما يستمع للموسيقى من جهاز الراديو أو يعزفها فى حلقة بين أصدقائه وسماره وبين رجل ديلمون القديم الذى عزف الموسيقى فى جو أشبه بهذا الجو الحضارى الحديث ؟ ان الفرق الوحيد بين الصورتين فى اعتقادى هو فقط فى الفرق الزمنى الذى يمتد الى ٤٤٠٠ سنة . واذ يعتبر انسان اليوم نفسه رجلا متمدنا يعيش فى حضارة متقدمة فلا مبالغة اذا نسبنا نفس الصفات لرجل ديلمون القديم (٢٠)

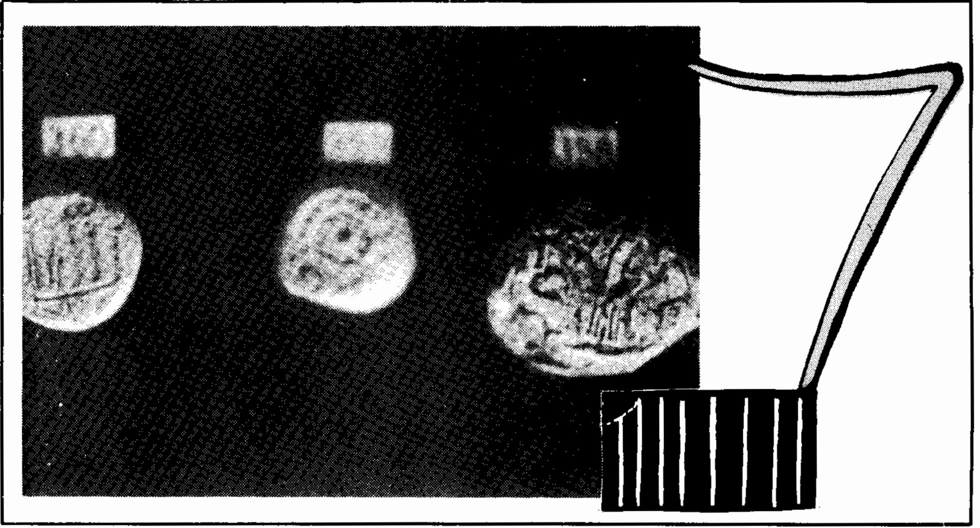
المزمار والقيثارة والهارب هي الآلات الموسيقية لديلمون القديمة

ان كل الآلات الموسيقية التى وجدت نقوشها على أختام ديلمون وهى ٣ أشكال للمزمار و ٤ أشكال للقيثارة وشكل نادر للجنك هى من أصل سومر ـ الرافدين ولقد عثر على الجنك مرة واحدة فقط فى كل من الرافدين وديلمون . واعتمادا على ذلك نستطيع القول بأن كل الآلات الموسيقية أتت من مصدر واحد . هو الرافدين وسومر وأن تاريخها يرجع الى ٢٤٠٠ ق .م. فهل كان ذلك بسبب قرب سومر من ديلمون ؟ أم بسبب علاقتهما التجارية التى أثرت على ثقافة ديلمون وعلى أنماط الحياة عند سكانها ؟ واذا كان هذا هو السبب فلماذا لم تتأثر حضارة ديلمون بحضارة وادى الأندوس مثلما تأثرت بحضارة سومر ، مع أن الأندوس لم تكن بعيدة عن ديلمون كما كان لديلمون علاقات تجارية مع وادى الأندوس مثلما كان لها مع سومر ؟ كما كانت سفن ديلمون تبحر الى وادى الأندوس كما تبحر الى سومر ؟ وهل كان هناك سبب ثالث لاختيار ديلمون الآلات الموسيقية السومرية بالكامل ؟ وهل كان السبب هو النسبة الكبيرة المتواجدة من السومريين فى ديلمون ؟ أم أن أهالى ديلمون والسومريين جاءوا من أصل واحد ووفد قطاع منهم على ديلمون فى زمن سابق قبل ذلك العهد وكان لديهم ميول واحدة فى الفن والموسيقى ؟

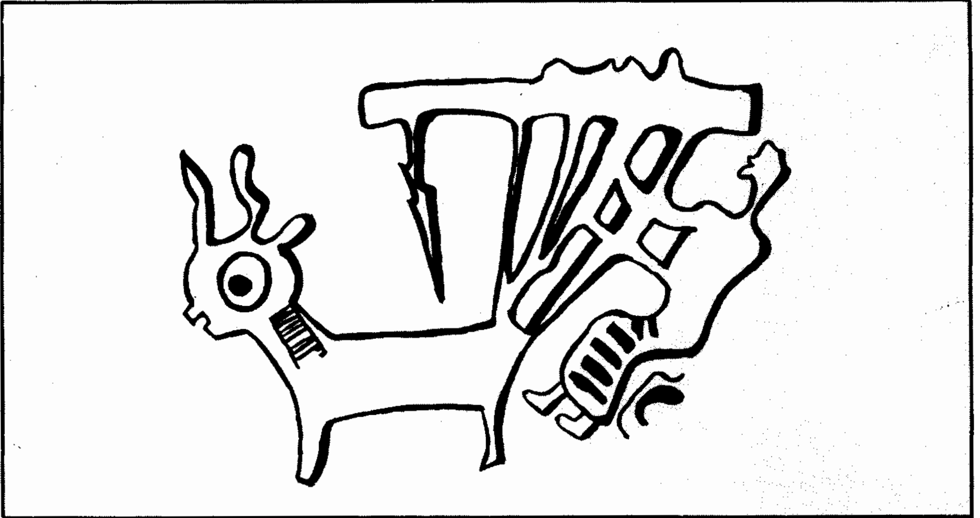
واذا كان الأمر كذلك فمن هم سكان ديلمون ؟ ومن أين جاءوا ؟ هل جاءوا من وادى الأندوس (٢١) أو من سومر ؟ (٢٢) ـ (٢٣) أو من الاثنين معا الأندوس وسومر وعاشوا معا حياة مشتركة أدت الى الاندماج فى مجتمع واحد وأنشأوا بذلك أول حضارة مختلطة قديمة عرفها تاريخ البشرية باسم ديلمون ؟

انهـا أسئلة كثيرة مـطروحـة أمـام الباحثين ، ومعرفتها قد ترد عـلى أسئلة أخـرى أكثر يمكن أن تميـط اللثام عن جوانب كثيرة ما زالت مجهولة أو غامضة في تاريخ هذه الحضارة .

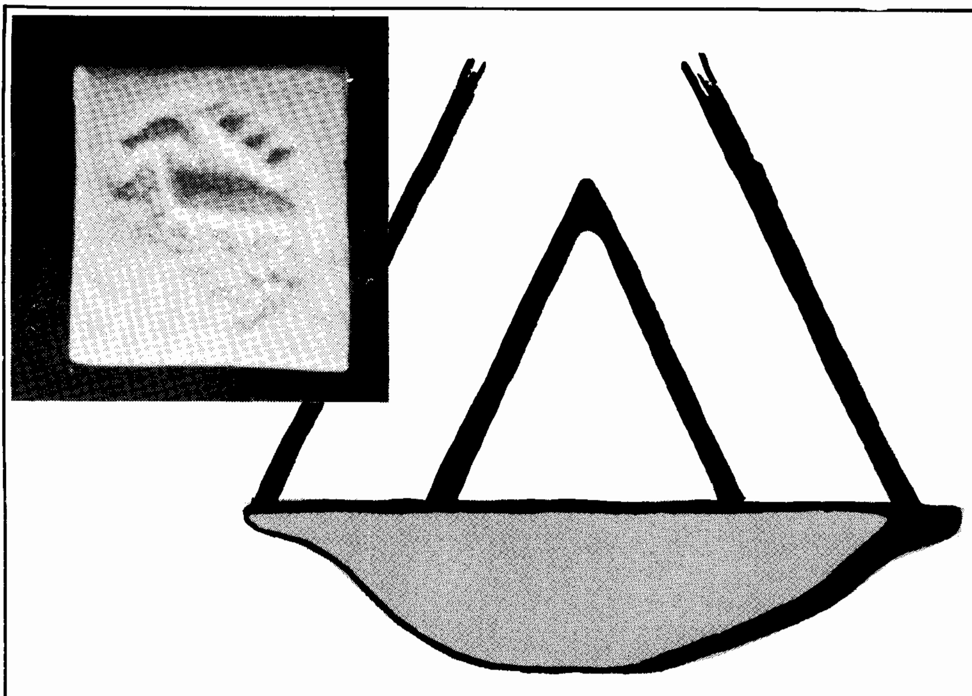
وقد يكون من المفيد أن نعرض عقب هذا البحث مباشرة لما تقوله الاختام عن التجارة والاقتصاد .



الرسم رقم (٧)
الكنارة ذات الصندوق



الرسم رقم (٦)
كنارة كبيرة صندوقها الموسيقي على هيئة الثور



الرسم رقم (٥)
صورة لكنارة والى اعلى الصورة الختم الديلموني

المراجع العربية

١ ـ تاريخ الآلات الموسيقية فى العراق القديمة ـ صفحة ٢٣٥
٢ ـ نفس المرجع ـ صفحة ٦٠ .
٣ ـ نفس المرجع ـ صفحة ٦١ .
٤ ـ صفحة ٣٩٩ LOOKING FOR DILMUN
٥ ـ الرسم التوضيحى رقم ١ .
٦ ـ الرسم التوضيحى رقم ٢
٧ ـ الرسم التوضيحى رقم ٣ . THE ENCYCLOPEDIA AMERICAN
٨ ـ الجزء ١٧ ، صفحة ٧٤٧ . The Encyclopedia American
٩ ـ تاريخ الآلات الموسيقية فى العراق القدمة ـ صفحات ٥٢ ـ ٥٣ .
١٠ ـ الرسم التوضيحى رقم ٨
١١ ـ الرسم التوضيحى رقم ٤ .

١٢ ـ تاريخ الآلات الموسيقية فى العراق القديمة ـ صفحة ٢٧ .
١٣ ـ نفس المرجع ـ صفحة ١٢٥ .
١٤ ـ الرسم التوضيحى رقم ٧ .
١٥ ـ الرسم التوضيحى رقم ٦ .
١٦ ـ الرسم التوضيحى رقم ٩ .
١٧ ـ تاريخ الآلات الموسيقية فى العراق القديمة ـ صفحة ٦٩ .
١٨ ـ نفس المرجع ـ صفحة ٦٩ .
١٩ ـ صفحة ٤٢٦ / THE MERRIAN/WEBSTER DICTIONARY
٢٠ ـ صفحة ٤٦ . . FOUR THOUSANDS YEARS AGO
٢١ ـ المجلد ٩ ، جزء رقم ٢٢٨ .E.S.O.B
٢٢ ـ المجلد ٨ ، جزء ، رقم ٢٢٨ ‘.E.S.O.B
٢٣ ـ المجلد ٩ ، جزء ٢ ، رقم ٢٢٧ ‘.E.S.O.B

المراجع الأجنبية

1. LOOKING FOR DILMUN/BY: GEAFFERY BIBBY/PROOF EDITION, LONDON, U.K., 1973.

2. THE ENCYCLOPEDIA AMERICAN, VOLUME 17, N.Y., N.Y., U.SA., AMERICAN CORP., 1949.

3. THE MERIAN-WEBSTER DICTIONARY/ N.Y., N.Y., U.S.A., 1974.

4. FOUR THOUSAND YEARS AGO/BY: GEAFFERY BIBBY,, LONDON, U.K., 1969.

5. EPIGRAPHIC SOCIETY OCCASIONAL PUBLICATION (E.S.O.P.), VOLUME 8, PART 2, NO. 26, ALINGTON, MASS., U.S.A., 1979.

6.E.S.O.P., VOLUME 9, PART 2, NO. 227/ SAN DIEGO, CALIFORNIA, U.S.A., 1981.

7. E.S.O.P., VOLUME 9, PART 2, NO. 228/SAN DEIGO, CALIFORNIA, U.S.A., 1981.

DILMUN: MUSIC AND TRADE

Ali Akbar Habib Bushiri

The third Millennium B.C was a period noted for music in the civilisation of Dilmun. Is the relaxed person shown in the seals playing a musical instrument or drinking beer?

Women had a great share in the music sessions of Dilmun. The Oboe, the Lyre and the Harp were the musical instruments of ancient Dilmun.

Without a doubt the civilisation of Dilmun is considered one of the important civilisations witnessed by the ancient world. If a study of the ancient civilisations, their monuments and the influence they exercised is vital to scholars, then the study of certain aspects of the civilisation of Dilmun is even more important for an inhabitant of the Gulf region. The Dilmun civilization was a major tributary to the mainstream of human history. It struck roots, prospered, mellowed and developed at the hands of this inhabitant. In the first issue of the magazine 'Al Watheeka' or the 'Document' we published some aspects of life of this civilisation, for example, dress pattens, hair styles etc. In this issue we are presenting two other aspects of it, namely music, trade and economy.

A complete study is published in the Arabic Section of this issue).